الفصل الأول

مقومات المجتمع العربي السعودي

في

المملكة العربية السعودية

* مدخل
* المبحث الأول: سمات وخصائص أبناء المجتمع السعودي.
* المبحث الثاني: المعالم المميزة لمجتمع المملكة العربية السعودية .
* المبحث الثالث: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونهج الحياة الاجتماعية في المجتمع السعودي .
* المبحث الرابع: الجوانب العقدية في الإسلام وآثارها على النفس والمجتمع .
* المبحث الخامس: الإسلام وتزكية النفس للفرد والجماعة في المجتمع العربي السعودي .

الفصل الأول

مقومات المجتمع العربي السعودي

في

المملكة العربية السعودية

مدخل:

لكل مجتمع من المجتمعات خصائص معينة تجعله في مصاف خاص به، يغاير المجتمعات الأخرى.

لذلك من الأهمية بمكان، قبل إيضاح مقومات الحياة الأسرية في المجتمع السعودي، أن نبرز أهم مقومات المجتمع السعودي، إذ إن الكيان الأسري، ممثلاً في أفراده وفي أبنائه، يُخضع سلوك أفراده والتزامهم العقدي وخضوعهم للقيم والمعايير السائدة، بما يتوافق وخصائص المقومات الرئيسة في المجتمع.

ماهية المجتمع:

في تحديد ماهية المجتمع، نوضح المفهوم اللغوي والاصطلاحي للمجتمع.

١- المفهوم اللغوي للمجتمع:

يشير ابن منظور في لسان العرب إلى مفردة جمع بمعنى جمع الشيء عن تفرقة أي يجمعه جمعاً، وجمعه وأجمعه واجتمع. وتجمع القوم بمعنى

اجتمعوا. والجمع اسم جماعة الناس. كما أن الجمع هم المجتمعون. والجماعة وأمر جامع بمعنى يجمع الناس[1].

٢- المفهوم الاصطلاحي للمجتمع:

المفهوم الاصطلاحي للمجتمع هو المفهوم الاجتماعي للحياة الاجتماعية. والمعنى العام للمجتمع يُمثل مجموع العلاقات الاجتماعية بين الأفراد، أو ما يُمثل كل تجمع للبشر من الجنسين، ومن المستويات العمرية، حيث يرتبطون معاً داخل جماعة اجتماعية تتميز بكونها ذات كيان ذاتي، ولها نظمها وثقافتها المميزة.

كما أن المجتمع من الناحية الثقافية Cultural والنُظم Systems يُمثل ما يتحقق عند جماعة من الناس من ترابط بينهم.

والمفهوم الأخير وثيق الصلة بما سبقه، فالإنسان يعيش في جماعات، وسلوك الإنسان يتأثر بالمعايير والقيم[2] Norms & Values.

مقومات المجتمع السعودي:

نتناول في هذا الجانب، أبرز مقومات المجتمع السعودي على المستويين الفردي والجماعي، التي تتمثل في:

---

(١) ابن منظور: لسان العرب، بيروت، دار الفكر، المجلد الثامن، ص٥٣.

(٢) محمد عاطف غيث: قاموس علم الاجتماع، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩، ص ١٧٦.

١ . المبحث الأول : سمات وخصائص أبناء المجتمع السعودي .

٢ . المبحث الثاني : المعالم المميزة لمجتمع المملكة العربية السعودية .

٣ . المبحث الثالث : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونهج الحياة الاجتماعية في المجتمع السعودي .

٤ . المبحث الرابع : الجوانب العقدية في الإسلام وآثارها على النفس .

٥ . المبحث الخامس : الإسلام وتزكية النفس للفرد والمجتمع ، والجماعة في المجتمع السعودي .

المبحث الأول

سمات وخصائص أبناء المجتمع السعودي

يتميز الشعب السعودي بخصائص ومميزات يمكن إجمالها فيما يلي[1]:

١- عقيدة التوحيد: حيث يتمسك أبناء المجتمع السعودي بعقيدة التوحيد بصلابة وقوة، وحيث لا تقف أمام ذلك العقائد الباطلة، وتقهر المذاهب الهدامة، والأفكار الملحدة.

٢- التواصي بالحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: حيث يلتزم أبناء الشعب السعودي ويستمسكون بذلك من خلال إيمانهم بالله. والله تعالى يقول: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

ومن واقع هذا الأمر الشرعي، نجد أن أبناء المجتمع السعودي يُقْدِمون على فعل الخيرات، ولا يقبلون على المفاسد والأهواء داخل البيوت وفي المجتمع الخارجي. بل ويدرؤون السيئات بالحسنات، عندما يتبين أن البعض زلت أقدامه بعيداً عما أمر به الله ورسوله المصطفى عليه أفضل صلاة وتسليم.

---

(١) سليمان عبدالرحمن الحقيل: الوطنية ومتطلباتها في ضوء تعاليم الإسلام، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م، ص ص ٢١-٤٢ (بتصرف).

٣- نقاوة وطهارة المجتمع: من المفاسد والأهواء، حيث كثرت الاضطرابات والاختلالات السلوكية في بقاع كثيرة من المعمورة.

٤- حماية الحرمين الشريفين: حيث أكرم الله تعالى أبناء المجتمع السعودي، بأن جعلهم آمنين قائمين على رعاية حرمة الحرمين الشريفين وحمايتهما، وملتزمين بأمن البلاد أيضاً.

٥- التكافل الاجتماعي: حيث يلتزم أبناء المجتمع السعودي قولاً وعملاً بما جاء به الشرع الحنيف والسُنة النبوية المطهرة، من العمل على البر والتقوى، مصداقاً لتمسك أبناء المجتمع بالإيمان والعقيدة الصحيحة.

٦- الأصالة العقدية والعربية: فقد جمع آباء وأجداد الأجيال الحاضرة بين التمسك بالعقيدة الصحيحة، والانتماء العربي الأصيل.

٧- عدالة الحكم: من ولاة الأمر، حيث يُعد ذلك نعمة أنعم الله تعالى بها على أبناء المجتمع السعودي، حيث تطبق أحكام الشريعة الإسلامية في كل مناحي الحياة، ومع الثبات في المقاصد والغايات.

٨- الإصلاح بين الناس: حيث يعمل الكثير من أبناء المجتمع السعودي نحو إصلاح ذات البين مصداقاً لقوله تعالى ﴿ **لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ** ﴾ [النساء: ١١٤]. وقول الرسول عليه الصلاة والسلام، حيث يقول: «كل سلامي من الناس صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين اثنين صدقة، وتعين الرجل على دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة» (متفق عليه).

٩- التوسط في السلوك وعدم المغالاة: بل الالتزام والاعتدال بين الجوانب المادية والروحية في مواقف الحياة، وبين السلوك العقلي والوجداني والعاطفي، وبين الفرد والمجتمع، وبين الحقوق والواجبات، دون إفراط أوتفريط.

١٠- انكار الذات والعمل من أجل المجتمع: فقد قامت الأسرة والمؤسسات الاجتماعية المختلفة على تنمية الأبناء فرادى وجماعات، والعمل من أجل نهضة وخير المجتمع، من موقع ما يبذل من جهد جهيد في التربية الإسلامية لكل أبناء المجتمع.

والحق تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

والرسول الهادي البشير النذير يقول: «على كل مسلم صدقة. قيل أرأيت إن لم يجد؟ قال: يعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق، قيل أرأيت إن لم يستطع؟ قال: يعين ذا الحاجة الملهوف. قيل أرأيت إن لم يستطع؟ قال يأمر بالمعروف أو الخير، قيل: أرأيت إن لم يفعل؟ قال يُمسك عن الشر فإنها صدقة» (رواه البخاري ومسلم).

والتربية الإسلامية داخل الأسرة وفي المدرسة وفي المسجد وعبر وسائل الإعلام وفي مؤسسات المجتمع، كلها تحفز أبناء المجتمع على حب الخير، والدعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتقديم العون للمحتاجين، والعمل من أجل الجماعة قبل العمل من أجل النفس.

المبحث الثاني

المعالم المميزة لمجتمع المملكة العربية السعودية

من الخصائص والمعالم المميزة لمجتمع المملكة العربية السعودية ما نوضحه فيما يلي، حيث تؤثر هذه الخصائص - بطبيعة الحال- على أبناء المملكة فرادي أو جماعات.

من هذه المعالم ما يجعل المملكة[1] نموذجاً خاصاً مميزاً قائماً بذاته:

١- إن المملكة العربية السعودية دولة عقائدية:

فالأساس التكويني يقوم على العقيدة السمحة، التي تحدد الأسس الأخلاقية والتشريعية والاجتماعية لمناحي الحياة، وما يتبع ذلك من التزام أبناء المجتمع بالعمل، واتباع هذه الأسس داخل الأسرة، وفي الحياة الاجتماعية عامة. ووسائط المملكة في ذلك تنشئة الأجيال على التمسك بالعقيدة، والدعوة لها بالحكمة والموعظة الحسنة، والعمل على نشرها خارج المملكة؛ من أجل أن يستمسك بالعقيدة والعمل بها أبناء المسلمين خارج المملكة.

٢- إن المملكة العربية السعودية دولة إسلامية وليست دينية أو علمانية كما هو متداول في بقاع العالم الغربي والأوروبي: فلا يتحكم رجال الدين كما هو الحال في أوروبا، بل إن الشعب السعودي يقوم على أمره واجب

(١) سليمان عبدالرحمن الحقيل: (مرجع سابق) ص ص ٩١-٩٥ (بتصرف).

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والبيعة للملك في المملكة العربية السعودية يتولاها أهل الحل والعقد ومنهم العلماء ومبايعة الشعب.

والدعوة إلى الإسلام هي واجب الدولة والمواطنين، كما لا توصف المملكة بأنها دولة علمانية تقوم على فصل الدين عن الدولة، بل هي دولة قائمة على تثبيت وإقامة شريعة الإسلام، والعمل والالتزام بالشرائع والحدود في جميع الشؤون الداخلية والعلاقات الدولية.

٣- إن المملكة العربية السعودية دولة أخلاقية إنسانية: حيث إن رائدها تحقيق العدالة الصحيحة في جملة مناحي الحياة. بل إن هذه الريادة مقدمة على الأهداف الاقتصادية والسياسية والعسكرية للمملكة، ومن ثم فإن أهدافها لا تتوافق وأهداف الدول التي تسعى إلى النفوذ والسيادة. بل إن مصادرها الاقتصادية وثرواتها تعد وسائل وليست غايات، والعائد من ورائها لخدمة أبناء المملكة ورفع مستواهم في البادية والحضر.

٤- إن المملكة العربية السعودية دولة حضارية: فليست وظائفها قاصرة على حفظ الأمن الداخلي والدفاع، بل تجاوزت إلى أهداف إيجابية وتوجيهية في ميادين اقتصادية وعلمية، إضافة إلى أنشطة وميادين تتصل بمجالات عديدة في المجتمع، مع التمسك بالأخلاق الإسلامية.

المبحث الثالث

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

ونهج الحياة الاجتماعية في المجتمع السعودي

تمهيد :

إدراكاً لأهمية ما اشتملت عليه الشريعة الغراء من التزام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وما أقرته السنة النبوية المطهرة قولاً وعملاً والتزاماً في مناح متعددة في سلوكيات الأفراد والجماعات في المجتمع السعودي، فإن الذي يعنينا في هذا الموضع، ما تقره المملكة العربية السعودية، من العمل بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتتشدد في ذلك بغية التزام أبناء المجتمع بالعمل على طاعة الله ورسوله.

فإنه كان لزاماً إيضاح ما يتصل بذلك، وفق ما نعرضه فيما يلي:

١ - إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب شرعي عظيم يحمي الأمة الإسلامية من أن يغشاها الفساد وأن يتسلط عليها المارقون[١]. فواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الهدي وطريق الصلاح الذي يطل بوجهه المشرق ونوره المتلألئ، فتنقشع ظلمات المنكر بظهوره، فهو باب عظيم من الخير به قوام الأمر وملاكه.

---

(١) محمود محمد كمال عبدالمطلب: أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، دعوة الحق، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، العدد ١١٠، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص ص ٨-١٦.

ويوضح الإمام الغزالي أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيقول: «إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين، وهو الأمر الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين، ولو طُوي بساطه وأهمل عمله لتعطلت النبوة، واضمحلت الديانة، وعَمَت الفطرة، وفشت الضلالة، وشاعت الجهالة، واستشرى الفساد، واتسع الخرق، وخربت البلاد، وهلك العباد»[1].

٢- إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عمود من أعمدة الدين، وفريضة عظيمة من الفرائض بها يستقيم الأمر كله، ورغم ذلك فقد أهمل أغلب المسلمين هذه الفريضة وتغافلوها وتركوها وراءهم ظهريًا وكأن الحسبة ليست فرضاً عليهم مأمورون بفعله آثمون بتركه. بل إن كثيراً منهم يعيبون على الحسبة ويطعنون فيها ويقولون إنها ليست من أبواب الحكمة.

ويقول الإمام النووي: واعلم أن هذا الباب- أعني باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - قد ضيع أكثره من أزمان متطاولة ولم يبق منه في هذه الأزمان إلا رسوم قليلة جداً، وهو باب عظيم به قوام الأمر وملاكه وإذا كثر الخبث عم العقابُ الصالحَ والطالحَ، وإذا لم يأخذوا على يد الظالم وشك أن يعمهم الله تعالى بعقابه. فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم. فينبغي لطالب الآخرة والساعي في تحصيل

(١) الإمام الغزالي (أبو حامد الغزالي (الشافعي): إحياء علوم الدين، القاهرة، كتاب الشعب، جـ٢، ص ١١٩٢.

رضا الله عز وجل أن يعتني بهذا الباب فإن نفعه عظيم، لا سيما وقد ذهب معظمه»(صحيح مسلم). والحق تبارك وتعالى يقول:

﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾ [محمد: ٣٨]

﴿ إِلاَّ تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التوبة: ٣٩]

٣- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يعتبر صدقة من الصدقات يرفع الله بها الدرجات ويزيد بها الحسنات ويحط بها كثيراً من السيئات. فعن أبي ذر رضي الله عنه أن أناساً قالوا: يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور، يصلّون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم. قال: «أوَليس قد جعل الله لكم ما تتصدقون به أن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر صدقة» (رواه مسلم وغيره).

وعن أبي ذر أيضاً أن رسول الله ﷺ قال: «تبسمك في وجه أخيك صدقة، وأمرك بالمعروف صدقة ونهيك عن المنكر صدقة» (رواه الترمذي وحسنه وابن حبان في صحيحه).

٤- مما يؤكد أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن أي طائفة امتنعت عن القيام به تحارب وتقاتل حتى تعود آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر. قال ابن تيمية رحمه الله:

«كل طائفة خرجت عن شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة المتواترة فإنه يجب قتالها باتفاق أئمة المسلمين وإن تكلمت بالشهادتين، فإذا أقروا بالشهادتين وامتنعوا عن الصلوات الخمس وجب قتالهم حتى يصلوا، وكذلك إن امتنعوا عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجهاد الكفار إلى أن يسلموا أو يؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون[1].

٥- ورغم أهمية هذا الواجب إلا أن من المسلمين من تخلفوا عنه وأهملوه، والسبب في ذلك تخاذل بعض المسلمين عن هذا الواجب لصعوبته ومشقته، فهو أمر ليس سهلاً أو هيناً لأن هذا الواجب يصطدم بشهوات الناس وملذاتهم.

٦- إن فهم طبيعة الدين الإسلامي الحنيف ودوره في الحياة يُجيب عن كثير من أسئلة الاستفهام حول واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويوضح لنا الحكمة منه.

فالإسلام ليس مجرد قول أو عمل قلبي، بل إنه يتعدى إلى أكثر من ذلك، إنه اعتقاد وقول وعمل. فليس الإسلام عبادات وشعائر فقط، بل هو أشمل من ذلك، فهو دين كامل متكامل يتعامل مع الواقع ويضع الحلول المناسبة لحل مشكلاته. هذا هو طبيعة هذا الدين من حيث كونه منهجاً منفرداً يحوي الحق الخالص الكامل. فهو المنهج الذي يحقق كرامة الإنسان ويمنحه الحرية الحقيقية.

(١) مجموعة فتاوى ابن تيمية ٤ : ١٨١.

أما دور هذا الدين فهو إرشاد البشرية إلى الحق المبين وإخراجها من الظلمات إلى النور: من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، ومن ظلمات المعاصي إلى نور الطاعة، ومن ظلمات البدعة إلى نور السنة، ومن ظلمات الباطل المهين إلى نور الحق المبين.

ولقد بين تبارك وتعالى هذا الدور الإيجابي للأمة الإسلامية: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. من هذا المنطلق فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يوافق طبيعة الدين وهو أسلوب من أساليب الإسلام في التعامل مع الواقع.

٧- عموم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يقصد به الأمر بكل معروف والنهي عن كل منكر أياً كان. ويتم ذلك على أساس مرتبتين:

المرتبة الأولى: هي دعوة الأمة الإسلامية سائر الأمم إلى الخير والهدي بالدعوة إلى الإسلام، ثم بالجهاد في سبيل الله إن أبت ورفضت الدعوة، فالجهاد باب من أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المرتبة الثانية: هي دعوة المسلمين بعضهم بعضاً إلى الإسلام. بمعنى دعوة من خف تمسكه بدينه من المسلمين إلى الخير والهدى وأمره بالمعروف إن تركه ونهيه عن المنكر إن ارتكبه، وهو ما يُطلق عليه الفقهاء مصطلح «الحسبة». وكل ذلك من التواصي بالحق والتواصي بالصبر الذي حث عليه

رب العباد فقال: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر: ١ - ٣].

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تنطوي تحته أبواب كثيرة من الخير:

أ- فجهاد الكفار وأهل الكتاب باب من أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ب- وقتال المرتدين والممتنعين عن شريعة أو أكثر من شرائع الإسلام باب من أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

جـ- ورد الفاسقين عن فسقهم وزجرهم عن معاصيهم وإزاحتهم عنها باب من أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٨- كانت الدولة الإسلامية - على امتداد عصرها- تهتم بالحسبة أيما اهتمام، حتى إنها جعلت الحسبة وظيفة من وظائف الدولة تُعين لها رجلاً صالحاً يقوم بأعباء الحسبة.

قال ابن خلدون في مقدمته: «أما الحسبة فهي وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو فرض على القائم بأمور المسلمين أن يعين لذلك من يراه أهلاً له».

ولقد أخطأ البعض حين ظن أن الحسبة واجب الدولة المسلمة فحسب إذ إن الحسبة فرض على عامة المسلمين.

٩- وحتى نتبين ما هو المنكر وما هو المعروف، فإنه من المتفق عليه أن

المنكر هو كل أمر حظره الشرع ونهى عن ارتكابه. قال ابن تيمية: والمنكر اسم جامع لكل ما كرهه الله ونهى عنه[1]. وعلى هذا فإن المنكر أعم من المعصية. فشرب الصبي خمراً منكر ولا يدخل في نطاق المعصية، وإتلاف البهيمة لزرع الغير منكر وليس معصية. والنهي عن المنكر ينقسم إلى ثلاثة أقسام[2].

أ- ما كان حقاً من حقوق الله تعالى وهذا ينقسم إلى ثلاثة أيضاً:

- ما يتعلق بالعبادات كمخالفة هيئات الصلاة وعدم إتمام أركانها أو الزيادة فيها أو النقصان منها.

- ما يتعلق بالمحظورات كشرب الخمر واختلاط الرجال والنساء.

- ما يتعلق حقاً بالمعاملات كالبيوع الفاسدة والربا والغش والتدليس.

ب- ما كان حقاً من حقوق الآدميين كظلمهم بالبنيان على جدار الغير ونحوه.

جـ- ما كان مشتركاً بين حقوق الله تعالى وحقوق الآدميين كالمنع من الإشراف على منازل الناس.

وبصفة عامة فإن «ظهور كون هذا الشيء منكراً يحصل بكونه مخالفاً لكتاب الله سبحانه وتعالى أو لسنة رسول الله ﷺ أو لإجماع المسلمين[3]

(١) ابن تيمية (الحنبلي): اقتضاء الصراط المستقيم، ص ١٩.

(٢) الشوكاني: السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، جدة، ص ٥٨٦.

(٣) الماوردي (الشافعي): الأحكام السلطانية والولايات الدينية.

والمعروف هو ما أمر به الشارع ورغب فيه وحض عليه. ويقول ابن تيمية رحمه الله: والمعروف اسم جامع لكل ما يُحبه الله من الإيمان والعمل الصالح. أهـ[1].

والمعروف ثلاثة أقسام:

أحدها: ما تعلق بحدود الله كترك الجمعة والجماعة.

وثانيها: ما تعلق بحقوق الآدميين وهو ضربان عام وخاص.

أما العام كالبلد إذا تعطل شربه أو استهدم سوره.

مع المكنة إذا استعداه أصحاب الحقوق وليس له أن يحبس بها لأن الحبس حكم وليس له أن يلازم عليها.

ثالثها: وهو الأمر بالمعروف فيما كان مشتركاً بين حقوق الله وحقوق الآدميين كأخذ الأولياء بإنكاح الأيامى من أكفائهن إذا طلبوهن، وإلزام النساء أحكام العدة إذا فارقن أزواجهن[2].

١٠- يحسن أن نفرق بين ثلاثة أمور: الدعوة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد.

أ- فالدعوة هي تعليم الناس الخير ووعظهم حتى تلين قلوبهم وتصغي أسماعهم فيستجيبوا لأمر ربهم.

---

(١) ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم، ص١٩.

(٢) أبو يعلى: (الحنبلي) الأحكام السلطانية.

ب- والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يكون لقوم قد أبوا إلا المعصية والفساد، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يردهم إلى الحق ويزيحهم عن منكرهم.

جـ- والجهاد هو لأقوام لم يفلح معهم دعوة ولا أمر بمعروف ونهي عن منكر، وأبوا إلا محاربة الإسلام والصد عن سبيله والوقوف حجر عثرة في طريقه، ونصبوا أنفسهم أئمة للضلال والفساد والكفر، فهؤلاء تكون مواجهتهم بالجهاد فهو وحده الكافي بردعهم.

فلكل فريضة من الفرائض الثلاث مجالها وأساليبها وطبيعتها فلا تخلط بينها.

١١- هذا وإن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أدى إلى إفساد العباد واختلال الأخلاق وانتشار الفساد، وهو أمر تحاربه المملكة العربية السعودية وتترصد لكل تفريط كبير تمادى في زمن طويل، بعد ما عظم التساهل في ترك التناصح وبطل رد ما يتنازع فيه المسلمون إلى الله ورسوله- أي إلى كتاب الله وسنة رسوله- وخوت القلوب من احترام الدين حتى لم يعد له سلطان على الإرادة بل صار كل شخص أسير هواه، ومتى أمسى الناس هكذا - لا دين ولا مروءة ولا أدب - فأي فرق بين الطائفة منهم والقطيع من الماعز أو البقر[1]؟! والله المستعان.

(١) محمد عبده، رشيد رضا: تفسير المنار، الآية (١٠٤) سورة آل عمران، جـ٤، ص ٢٣.

المبحث الرابع

الجوانب العقدية في الإسلام

وآثارها على النفس والمجتمع

تمهيد :

كيفية ثبات الإيمان والعقيدة الصحيحة في النفوس فرادي وجماعات، أمر يحتاج إلى جهد متواصل من علماء الدين، متبعين في ذلك الأسوة الحسنة، التي ألهمها تعالى من لدنه الحجة والإقناع، فدخل الناس في دين الله أفواجاً. ويعنينا في هذا المقام:

كيف تؤثر العقيدة في الإسلام على النفس والمجتمع؟

أهمية العقيدة في الإسلام وأثرها في النفس والمجتمع:

وقف النبي ﷺ يطالب الناس بالإيمان بالله خالقهم ومبدع الكائنات من حولهم. الإيمان الذي يجد استجابته في فطرتهم وتصديقه وبرهانه في الآيات البينات في كل صغيرة وكبيرة في هذا الوجود كله [1] وكانت وسيلة النبي ﷺ في عرضه دعوته الحجة والإقناع وبرهانه الوحي والآيات.

﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]. ولم يكن معه جاه ولا سلطان ولا عدة ولا عتاد ولا

(١) أحمد محمد العسال، الإسلام وبناء المجتمع، الكويت، دار القلم، الطبعة الثالثة، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م، ص ص ٩٧-١٠٣.

قبيلة ولا ناد وإنما سلاحه صدقه وأمانته وأخلاصه وحلمه وثباته وعزمه .

ولقد طلب إليهم أن يعودوا إلى أنفسهم، وأن يتفكروا في حياتهم، وأن يختاروا بين الإيمان والشرك، بين التوحيد والوثنية من غير إكراه ولا ضغط .

﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [الكهف : ٢٩]

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ [سبأ : ٤٦]

﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٥٦]

وظلت آية الإسلام الكبرى وطريقته العظمى هي الدعوة باللين والرفق والأناة والحلم وإزالة العقبات التي تعوق الفطرة عن الإيمان، فلم يرفع سيفاً لإكراه على عقيدة، وإنما رفعه لإزالة الطواغيت ورد الظلم عن المظلومين، وعلى الناس بعد ذلك أن يختاروا، يقول ﷺ «ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين العرب؟» .

التدرج في وجوب الإيمان والاستعداد النفسي لقبوله:

سلك النبي الكريم الطريق العملي إلى القلوب والعقول، فتدرج بهم مرحلة بعد مرحلة وخطوة بعد خطوة، دعاهم إلى العقيدة أولاً وأفرغ همه في ذلك لأنها أساس وركيزة البناء الأولى، وجاء القرآن الكريم يتحدث عن

الله عز وجل وصفاته وآلائه ونعمه وآياته المبثوثة في الكون، وعن خلقه وتدبيره، وعن احاطته وعلمه وهيمنته، عن وجوب الإيمان به والاستعداد للقائه وعن البعث والحساب والجنة والنار، قالت السيدة عائشة رضي الله عنها «إنما نزل أول ما نزل منه (أي القرآن» سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الزنى أبداً، لقد نزل بمكة على محمد- ﷺ - وإني لجارية ألعب: «وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده» [البخاري - باب نزول القرآن].

لقد حددت عقيدة الإيمان بالله الواحد مكان الإنسان من ربه ومكانه في الكون، ثم حددت الشريعة حقوق الله عليه، وواجبه تجاه نفسه وإخوانه المؤمنين، وتجاه جنسه ودوره ورسالته في الحياة، لقد وضعته العقيدة أمام خالقه وفاطره والهه وبينت له أنه منه البداية وإليه النهاية:

﴿ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد: ٣]

ووضحت له أن هذه الكائنات والعوالم كلها، المنظور منها وغير المنظور، مُحكم ومُقدر تقديراً، وأنها لم تُخلق سدى ولا عبثاً، وأن مقتضى ذلك الإيمان بالله، وحكمته وعلمه وقدره، وبكل صفات الكمال التي أخبر بها عن نفسه، وأن ذلك يتضمن الإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره.

﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

الوسائل النفسية والفكرية للالتزام بالعقيدة الصحيحة:

وحينما يختار الرجل الإيمان بالله ويفيء إليه، ويضع يده في يد النبي الكريم ﷺ، كان يتعهده بالتربية النفسية والعلمية والفكرية. فيفتح آفاق النفس بالعبادة والذكر، وينشط الفكر بالتأمل والنظر، ويقرأ عليه آيات الله والحكمة، فيخرج من ضيق الدنيا إلى سعتها، ويترك عبادة أهوائه وشهواته إلى عبادة الله وتسبيحه، ويتحول من ضيق النظرة المادية والجنسية والقبلية والإقليمية إلى الإحساس بنعم الله في نفسه والمخلوقات من حوله، فتصبح نظرته نظرة الشكر والحمد لا نظرة الجحود والنكران، فيمنحه الإيمان سعة وامتداداً وأملاً وانشراحاً وتآخياً وعملاً صالحاً، إنه يرى ذلك في نداء الله له: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ [العنكبوت: ٥٦].

ويراها في قوله سبحانه: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة: ١٥٢].

ومن ثم يجد الطمأنينة والأمن والرضا واليقين:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

ثم كان مسلكه ﷺ في جماعة المؤمنين، ما ينظمه في عقدهم فيتفاعل معهم ويتآلف قلبه مع قلوبهم، ومن ثم يتحرك المعنى الاجتماعي للإيمان في الحياة بنظرته الجديدة ومفاهيمه الجديدة. فلم تصبح الرابطة رابطة نسب أو طين في الدنيا وإنما رابطة إيمان بالله وحب فيه وتعاون على البر والتقوى، فتحدث النقلة الجديدة من حياة الشرك إلى حياة الإيمان، ومن مجتمع الجاهلية إلى مجتمع الإسلام، وصدق رسول الله ﷺ «ذاق طعم الإيمان من رضى بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ رسولاً».

وهكذا يصبح طريق المسلم في دعوة غيره هو الطريق الذي سلكه محمد رسول الله ﷺ وربى عليه أصحابه، ألا وهو التركيز على العقيدة وما يثبتها أولاً، فإذا وضحت ودخلت إلى القلب تحركت النفس وتغيرت وملأت الدنيا خيراً وعملاً صالحاً.

الإسلام والمسؤولية الفردية والجماعية:

إن المسؤولية والالتزام الفردي يُعدان من الناحية النفسية أساساً قوياً للتضامن والتعاون الجماعي لبناء مجتمع متماسك، لذلك دعا ﷺ الناس فرادى وجماعات للدخول في دين الله، ولكن كانت عملية القبول أو العدول عن الإسلام يقررها كل إنسان بنفسه؛ لأنه مسؤول عن عمله محاسب عما يقدم بين يديه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ [فصلت: ٤٦].

﴿ أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ ﴾ [النجم: ٣٨]

ولهذا جعل الإسلام مناط التكليف أمرين:

الأمر الأول: أمر يتعلق ببلوغ الدعوة إلى المكلفين حتى تسقط حجتهم وينتفي عذرهم.

﴿ رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٥].

والأمر الثاني: أن يكون هؤلاء المخاطبون قد بلغوا مرحلة التكليف بأن تكون قواهم العقلية سليمة، وأن يكونوا قد تجاوزوا مرحلة الصبا ووصلوا مرحلة البلوغ والرشد حتى يجوز عليهم القلم وتكتب أعمالهم. يقول ﷺ «رفع القلم عن ثلاثة: عن الصبي حتى يبلغ، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن المجنون حتى يفيق».

﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤].

﴿ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾ [مريم: ٩٣ - ٩٥].

وقد اهتم الإسلام - تبعاً لنظرية مسؤولية الفرد عن أعماله - بألفاظ إرادته وإحياء نفسه بأن جعل الأعمال وقبولها مرتبطاً بالنية والقصد، فقال ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى».

بل واهتم بتحرير الإرادة وإخلاصها من كل شائبة من شوائب الرياء. يقول الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥].

﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

وحتى تصبح التكاليف بعيدة عن حدي الغلو والتفريط، ربطها الإسلام بوسع الفرد وطاقته فقال سبحانه: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]

فأي شيء جاوز طاقة الفرد بأن عرض له ما يعجزه عن أداء ما كُلف به من مرض أو غيره أو عارض يؤثر في طريقة الأداء كالسفر والحرب وغيرهما، حدث التخفيف والتجاوز تحقيقاً للقاعدة الآنفة.

ومتى دخل الفرد في عقد الإيمان وأعطى صفقة يمينه وأقر به جنانه، ونطق به لسانه وأدى أركانه، فقد دخل في جماعة المؤمنين، فيصبح عضواً حياً فيها، نافعاً لها، لا كلاً عليها، ولا سلبياً تجاهها، وتحقيق وجوده به وجودها، فتصبح جزءاً من كيانه ويُصبح مسؤولاً عنها وهي مسؤولة عنه. ومن هنا جاء خطاب المؤمنين بوصف الإيمان، وطولبوا بأداء التكاليف الجماعية؛ لتنمو روح الفرد من خلال الجماعة، وتسمو الأخلاق، وتزكو النفوس. ولهذا وصف الله الجماعة، بالأوصاف الطيبة، أوصاف الألفة والنصرة والرحمة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتعاهد على الحق والصبر. وهذا ما يُوصف به المجتمع الإسلامي بصفة عامة.

يقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ [البلد: ١٧].

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١]

وعلى النقيض من ذلك جاء وصف الإنسان مربوطاً بالذم لبعده عن الإيمان بالله وجماعة المؤمنين:

﴿إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ٢، ٣].

﴿إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١ إِلاَّ الْمُصَلِّينَ﴾ [المعارج: ١٩ – ٢٢]

المبحث الخامس

الإسلام وتزكية النفس

للفرد والجماعة في المجتمع السعودي

تمهيد :

تزكية النفس في الإسلام أمر واجب على كل مسلم، حيث يلتزم الفرد الجماعة بزاد متواصل من السلوك القويم الذي يُباعد بين الإنسان وما يترصده في حياته المعاصرة- بصفة خاصة- بأمواج عاتية من الصراعات التي يصعب التغلب عليها، ما لم يكن الفرد قادراً على مغالبة هذه الصراعات بنفس زكية تركل كل الشهوات والمفاسد وتنهج النهج الشرعي الحنيف.

وللإسلام في ذلك نهج خاص، نوضحه فيما يلي :

الإسلام وتزكية النفس للفرد والجماعة :

يمضي الإسلام بالمؤمنين فينظم لهم حياتهم، ويصنع بهم عمارته الكبرى في الحياة، لا يتركهم هُملاً ولا يُكلفهم من أمرهم عُسراً، وإنما يختط بهم الخطوط الرشيدة التي تجعلهم يقومون بأعباء الحياة على نحو فاضل كريم. . إن رحلة الحياة تحتاج الزاد المتواصل، فقد خلق الإنسان ومعه طموحه وحرصه، وفي نفسه حب الشهوات التي تزين له مآربه من أعراض هذه الحياة ومنافعها، ثم يترصده الشيطان بالغواية والوسوسة، ومن هنا

كانت الحياة امتحاناً كبيراً، وبلاءً عظيماً[1].

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك: ٢].

ولكي يواجه الإنسان هذا الامتحان وينجح فيه كان لا بد له من عون أصيل ومدد دائم لا ينقطع، مدد ينبع من داخل نفسه وينمو في أقطارها، وتتغذى به جوارحه وملكاته الحسية والفكرية والروحية، وكان لا بد حينئذ أن يكون متصلاً بخالقه وفاطره ليكون الغذاء أصيلاً والزاد شافياً، وقد كانت أولى مهمات النبي الكريم ﷺ، تعليم العلم النافع الذي يُزكي نفوسنا ويزودها بالخير. قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

فلم تكن مهمته مجرد تعليم الكتاب والحكمة بل تعليمهما ليكونا سبيلاً إلى تزكية النفوس وتطهيرها.

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٧ - ١٠].

قال الراغب في تفسير مفردات القرآن تحت كلمة زكا: (أصل الزكاة النمو الحاصل عن بركة الله تعالى، ويعتبر ذلك بالأمور الدنيوية والأخروية. يقال: زكاة الزرع يزكو إذا حصل منه نمو وبركة، وقوله: [أيها أزكى طعاماً].

(١) أحمد محمد العسال: (مرجع سابق)، ص ص ١٠٤-١١٢ (بتصرف).

إشارة إلى ما يكون حلالاً لا يستوخم عقباه ومنه الزكاة لما يخرج الإنسان من حق الله تعالى إلى الفقراء، وتسميته بذلك لما يكون فيها من رجاء البركة أو لتزكية النفس أي تنميتها بالخيرات والبركات أو لهما جميعاً، فإن الخيرين موجودان فيها.

وقرن الله تعالى الزكاة بالصلاة في القرآن الكريم بقوله تعالى:

﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾.

وبزكاة النفس وطهارتها يستحق الإنسان في الدنيا الأوصاف المحمودة، وفي الآخرة الأجر والمثوبة. وهو أن يتحرى الإنسان ما فيه تطهيره وذلك ينسب تارة إلى العبد لكونه مكتسباً لذلك نحو [تطهرهم وتزكيهم بها] [يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم]، وتارة إلى العبادة التي هي آلة في ذلك نحو: [وحناناً من لدنا وزكاة][لأهب لك غلاماً زكيا]. أي مزكى بالخلقة وذلك على طريق ما ذكرنا من الاجتباء وهو أن يجعل بعض عباده عالماً وطاهر الخلق لا بالتعلم والممارسة بل بتوفيق إلهي كما يكون جل الأنبياء والرسل. ويجوز أن يكون تسميته بالمزكى لما يكون عليه في الاستقبال لا في الحال والمعنى سيزكى [والذين هم للزكاة فاعلون] أي يفعلون ما يفعلون من العبادة ليزكيهم الله أو ليزكوا أنفسهم، والمعنيان واحد)[1].

(١) أبي القاسم الحسين بن محمد (الراغب الأصفهاني): المفردات في غريب القرآن، ص ص٢١٣-٢١٤.

إن التزكية التي يهتم بها الإسلام في سائر نظمه هي التي تثمر سعادة الفرد والجماعة، فليس أقتل للفرد ولا أظلم للجماعة من أن يعيشا لمجرد الطعام واللباس والمنام، فينزلا إلى درك الحيوانات، بل يُصبحا أضل منها لأنهما لم يستفيدا من ملكاتهما الحسية والفكرية والروحية، ولهذا نعى الله على الكافرين حياتهم حينما قال: ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ** ﴾ [**محمد**: ١٢].

وكان الخلود إلى الأرض واتباع الهوى هما سبيل ذلك، قال تعالى: ﴿ **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ** ﴾ [**الأعراف**: ١٧٥، ١٧٦].

إنها عملية صقل للنفس وتدريب للجوارح، عملية تحتاج للممارسة اليومية واليقظة الدائمة وتضافر المجتمع حتى تكتسب النفس الأخلاق الفاضلة. والأخلاق الفاضلة تعمل في الحياة والمجتمع كما تعمل القوانين المادية سواء بسواء، كل منهما يعم وفق السنن والنواميس التي بثها الله تعالى في خلقه. في هذه تعمل في الكائنات غير العاقلة، وتلك تظهر نتائجها على الإنسان وحياته ومعاملاته ومجتمعه، مثال ذلك الصدق، فإنه يوجد البر في النفس والطمأنينة في القلب، والاستقامة في الخلق، ويمنع النفاق والازدواجية، ويقهر في الوقت نفسه الثقة في المجتمع، بعكس ذلك تماماً يفعل الكذب، فإنه يهدي إلى الفجور، فيورث الاضطراب والخلل في

الشخصية، ويضعف الثقة في صاحبه، ويؤدي إلى زعزعة الثقة في المجتمع، وعلى ذلك تقاس جميع الأخلاق.

والحضارات الكبرى لم تقم إلا على رصيد من الأخلاق، يتمسك بها أهلها يرعونها ويؤدون حقوقها، وحالما يتحرك الخط البياني للمجتمع في طريق التحلل من الأخلاق يبدأ هذا المجتمع في طريقه إلى الانهيار في الهاوية. ذلك قانون الله عز وجل: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً﴾ [الإسراء: ١٦].

﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَاراً وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ﴾ [الأنعام: ٦].

إن ميزة الأعمال والأخلاق في الإسلام أنها موصولة الأسباب بالله دائمة العطاء، ذلك أن المسلم يعملها ابتغاء وجه الله ومرضاته، فهي وإن كانت تحقق نفع صاحبها والمجتمع إلا أنها تتميز عن الأخلاق النفعية المادية بأنها ليست آنية يقصد بها تبادل النفع فقط فلا تنحصر في هذه الدائرة، وإنما تتجاوز ذلك إلى عملها وآدائها لوجه الله دون النظر لما يأتي من ورائها من ربح قد يحدث أو لا يحدث فلا تتوقف صورة العمل وأداؤه على الجانب الذاتي الأناني، وإنما يندفع إليه المسلم بنية أدائه على وجه صحيح قاصداً به وجه ربه، وبذلك تتخلص النفس من أنانيتها، فيكون الإخلاص تاماً والعمل خالداً ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦]، ولهذا تكفل الله عز وجل ببركة

الأعمال وزيادة ثمرتها والمجازاة عليها في الدنيا والآخرة، وجزاء ذلك الأداء الصالح، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

وتأتي أنظمة الإسلام كلها لتغمل عملين كبيرين:

١- تنمية عقيدة الإيمان بالله وتأكيدها ببذل الجهد المستمر في تزكية النفس وتطهيرها لتصل بالفرد والمجتمع إلى المستوى الخلقي الكريم.

٢- إقامة المجتمع الإسلامي الذي تترعرع فيه هذه العقيدة وتنمو فيه هذه الأخلاق. ولذلك نجد أن المسلم مطالب بعملين في وقت واحد لأن كليهما مكمل للآخر ومتمم له. عليه أن يبذل الجهد مع نفسه فيصلحها ويكملها، ويبذل الجهد مع إخوانه المؤمنين لإقامة المجتمع الإسلامي بإيجاد مؤسساته وأنظمته، وفي القرآن التوجيهان:

الأهبة للجهاد، إذ إن أخطر ما تواجهه أي أمة في مرحلة البناء والنهوض، تعدد المناهج واختلاف الصيحات وتعدد الأفكار والنزعات.

سبل سوية السلوك عند التمسك بالعقيدة الصحيحة:

عند التمسك بالعقيدة الصحيحة يتبع الفرد المؤمن سُبلاً في الحفاظ على دينه من خلال الخطوات التالية:

١- الخطوة الأولى: تكمن في وضوح التصور وفي النظرة إلى الحياة والكون، ولا يكون ذلك إلا بفهم عقيدة الإيمان بالله وامتلاء القلب والعقل

بها ورؤية الأمور من خلالها. جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال له: قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك يا رسول الله، قال: (قل آمنت بالله ثم استقم).

٢- الخطوة الثانية: استقامة النفس على نهج الإيمان بممارسة شرائع الإسلام والتزود من رحيقه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾ [النساء: ١٢٥].

ولا تأتي هذه الاستقامة إلا بأن يفقه المسلم دينه ويرعى أخلاقه وتصرفاته وأعماله كما يرعى عباداته وابتهالاته وذكره، فيُصبح بذلك القدوة الصالحة والأسوة الحسنة، ويكون هادياً بعمله وخُلقه، مؤثراً بلسان حاله ومقاله.

٣- الخطوة الثالثة: صبغ الحياة بالإسلام وقيام المؤسسات وفق شريعته وعلى هدية وهذه ضريبة الإيمان يُطالب بها المؤمنون، فالإسلام لا يقبل العزلة والانزواء، ولا يرضى أن تقود مجتمعه أفكار أو فلسفات أخرى. وهذا يقتضي تعاون المؤمنين وتكاتف المخلصين في أن يعوا واقعهم ويفهموا مجتمعهم والتيارات التي تتجاذبه، ويعدوا الكفاءات التي تستطيع بناء المجتمع في جميع نواحيه على أساس من قيم الإسلام وهديه، ولا يتأتى ذلك إلا بأن تكون المعايير التي نزن بها الأمور ونعدل بها الأشياء نابعة من فقه رشيد بالإسلام وإدراك لمراميه وأهدافه، ومن هنا كانت الحاجة ماسة إلى معرفة مصادر الإسلام الأولية وكيف نفهمها ونرد الأمور إليها إذا اختلفنا أو انبهم علينا أمر.